

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة ابن طفيل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

القنيطرة

مادة علوم القرآن

ذ. لحسن المؤذن

المحاضرة الثالثة:

المحور الأول: نزول القرآن.

المحور الثاني: تنجيم القرآن.

المحور الثالث: الوحي.

المحور الأول:

نزول القرآن

معناه – تنزلات القرآن – أقوال العلماء في ذلك – الحكمة من ذلك –
كيفية أخذ جبريل القرآن وعمن أخذه – ما ينزل به جبريل – مدة نزول
القرآن

المبحث الأول: معنى نزول القرآن:

جاء التعبير بنزول القرآن في القرآن الكريم، لقوله تعالى: "وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ
وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ"، وقوله صلى الله عليه وسلم: " أنزل القرآن على سبعة أحرف"
فالنطق بهذا التعبير ليس فيه إشكال.

1. تعريف نزول القرآن:

لغة: هو الحلول في مكان، تقول مثلاً: نزل الأمير المدينة، أي حل فيها، ومنه
قوله تعالى: " وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ"، وكذا تعني
الانتقال من فوق إلى أسفل أو الانحدار من علو إلى سفلى. لقوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً".

اصطلاحاً: هو إعلام الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام به عن طريق
الملك أو إنباته في قلب رسول الله عليه السلام.

2. تنزلات القرآن:

قال تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ"، وقوله سبحانه: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" وقوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ".

ولا تعارض بين هذه الآيات فإن الليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، ويحصل التعارض مع الواقع العملي في حياة النبي عليه الصلاة والسلام حيث نزل القرآن مفردا في ثلاث وعشرين سنة، وللعلماء في الجمع بين هذا مذهبين:

- المذهب الأول:

مذهب ابن عباس وجماهير العلماء: وهو أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا تعظيما لشأنه وإعلاما لملائكته بأنه آخر كتاب منزل على آخر نبي مرسل، ثم نزل بعد ذلك منجما على رسول الله عليه الصلاة والسلام في ثلاث وعشرين سنة، قال ابن عباس فيما رواه الحاكم والبيهقي والنسائي: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"، وقرأ: "وَفُرْنَا فَرْقَنَاهُ لِنَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا".

- المذهب الثاني:

روي عن الشعبي عامل بن شراحيل (ت 109 هـ): أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وليس المقصود به النزول جملة.

ولكن الصحيح هو المذهب الأول الذي عليه جماهير العلماء وقد حكي بعضهم الإجماع فيه.

فنستخلص من هذا:

أن القرآن له ثلاث تنزلات:

أ- التنزل الأول:

من الله إلى اللوح المحفوظ بدليل قوله تعالى: "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّخْفُوظٍ".

والحكمة من هذا التنزل: هو تسجيله للاطمئنان على عدم تحريفه، فيحصل للمؤمنين ثقة بأن هذا الكتاب لم يتطرق إليه تحريف أو تبديل.

ب- التنزل الثاني:

من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، فقد روى الحاكم عن ابن عباس قال: «فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُرْتِّلُهُ تَرْتِيلاً» قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقهُ الذهبي.

وقول ابن عباس له الحكم المرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام لأنه قول صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ولم يعرف أخذه عن الإسرائيليات، وهو الذي تعنيه الآيات الثلاث.

والحكمة من هذا التنزل: تفخيم أمر القرآن، وأمر من نزل عليه بإعلام أهل السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، مرة جملة، ومرة مفرداً، بخلاف الكتب السابقة فقد كانت تنزل جملة واحدة .

ومن حكم هذا التنزل أيضاً: إلهاب شوق النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك، على حد قول الشاعر:

وأعظم ما يكون الشوق يوماً *** إذا دنت الخيام إلى الخيام

وفي تعدد نزوله: تعدد المبالغة في نفي الشك عن القرآن، وزيادة الثقة فيه.

ج- التنزل الثالث:

نزوله من السماء الدنيا بواسطة جبريل على قلب رسول الله عليه الصلاة والسلام مصداقاً لقوله تعالى: "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ".

وهناك مذهب ثالث لبعض العلماء: يرى أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة القدر، في كل ليلة قدر، ينزل الله ما كان مقدرًا نزوله في تلك السنة.

وهناك مذهب رابع: يرى أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي عليه الصلاة والسلام في عشرين سنة.

وأصح هذه الأقوال هو القول الأول، وقد نقل القرطبي عن مقاتل بن حيان حكاية الإجماع عليه.

المبحث الثاني: كيفية أخذ جبريل للقرآن الكريم وعمن أخذه:

من العلماء من يرى أن جبريل كان يتلقى الوحي تلقفاً روحانياً من الله بمعنى يسمعه و ينزل بما سمع.

ومن العلماء يرى أنه كان يحفظه من اللوح المحفوظ، ثم ينزل به، فيلقيه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ففيما رواه الطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في

الحلية والبيهقي في الأسماء والصفات: النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْمُرَ بِأَمْرٍ تَكَلَّمَ بِهِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً أَوْ قَالَ رِعْدَةً شَدِيدَةً ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاءِ صُعِفُوا فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ، فَيَمُرُّ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلْتُهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا؟ قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ رَبُّكُمْ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ كَمَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أُمِرَ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ".

المبحث الثالث: ما ينزل به جبريل:

ينزل جبريل بالقرآن باعتباره الألفاظ الحقيقية المعجزة من أول الفاتحة إلى آخر الناس، لا دخل لجبريل ولا لمحمد عليه الصلاة والسلام في إنشائها وترتيبها، وإن نطق جبريل ومحمد عليه الصلاة والسلام بها، لأن الكلام ينسب إلى من أنشأه أولاً وابتدأه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

والدليل قوله تعالى: " وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْفُرْقَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ".

وقوله تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ".

وقوله تعالى متوعدا رسوله من أن يزيد شيئا من عنده: " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ".

وقوله تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي".

إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام ينزل عليه وحي متلو وهو القرآن، ووحى غير متلو وهو السنة.

فالقرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقاً، والحديث أوحيت معانيه، وألفاظه من الرسول عليه الصلاة والسلام.

واختلف في الحديث القدسي: فقيل: ألفاظه وحي أيضاً، وقيل: بل معانيه فقط. وعلى القول الأول، فالفرق بينه وبين القرآن: أن القرآن معجز، متعبد بتلاوته، والحديث القدسي ليس كذلك.

المبحث الرابع: مدة نزول القرآن:

ابتدأ نزول القرآن من مبعثه عليه الصلاة والسلام إلى قرب وفاته، وتقدر هذه المدة بعشرين، أو ثلاثة وعشرين، أو خمسة وعشرين عاماً تبعاً للخلاف في مدة إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة بعد البعثة: هل هي عشرون سنين أو ثلاث عشرة أو خمس عشرة سنة؟

أما مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في المدينة: فهي عشر سنين اتفاقاً، والراجح فيما قبل ذلك أنه ثلاث عشرة سنة.

وقد ذكر بعض المحققين: أن مدة إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً، من 17 رمضان سنة 41 من مولده الشريف إلى أول ربيع الأول سنة 54 منه.

أما مدة إقامته بالمدينة بعد الهجرة فهي: تسع سنوات و تسعة أشهر وتسعة أيام، من أول ربيع الأول سنة 54 من مولده إلى تاسع ذي الحجة سنة 63 من مولده.

إلا إن هذا التحقيق أهمل من حسابه مدة الوحي في المنام بالرؤيا الصادقة وهي ستة أشهر، وأهمل أيضا ما نزل بعد يوم عرفة من حجة الوداع كقوله تعالى:
" وَانْقُؤَا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ " .

المحور الثاني:

نزول القرآن منجما

دليل نزول القرآن منجما – الحكم والأسرار في تنجيم القرآن

1. دليل نزول القرآن منجما:

قوله تعالى في سورة الإسراء: "وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا"

وقوله تعالى في سورة الفرقان: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا"

فهذه الآية تدل على أن الكتب السماوية السابقة نزلت جملة واحدة، فقال الكافرون: لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كالكتب السماوية السابقة، ولو كانت الكتب السماوية تنزل مفرقة لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن منجما، وعدم رد القرآن عليهم في هذا الكلام والزعم يدل على أن كلامهم صحيح، وهو أن الكتب السماوية السابقة نزلت جملة، وهو ما عليه جمهور العلماء .

ولو كان زعمهم باطلا لرده القرآن كما في مثل قوله تعالى: " وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق"، فرد عليهم القرآن: " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ "

لكن أجاب القرآن بالصفة التي اختص بها القرآن في نزوله منجما دون

سائر الكتب السماوية السابقة، مبينا الحكمة من ذلك، فقال: "كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ".

2. الحكم والأسرار في تنجيم القرآن:

- تثبيت فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام بتجدد الوحي إليه، وتكرار نزول الملك عليه، والتيسير عليه في حفظه وفهمه، وتجدد تعزيز القرآن للكفار وتحديهم به، وتأييد حقه، ودحض باطل عدوه، لشكر لذة فوزه، وهزيمة عدوه، وتعهد الله له به عند اشتداد الخصام بينه وبين أعدائه مما يهون عليه الشدائد.
- التدرج في تربية الأمة الناشئة، بتيسير حفظها للقرآن لأنها أمة أمية، وتيسير فهمه عليها، والتمهيد لكمال تخليهم عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة وعباداتهم المرذولة، والتمهيد كذلك لكمال تحليهم بالعقائد الحقّة والعبادات الصحيحة والأخلاق، وتثبيت قلوبهم، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين.
- مساندة الحوادث والطوارئ في تجدها وتفرقتها، فكلما جد جديد أنزل من القرآن ما يناسبه، إجابة على أسئلة السائلين، ومجارة للأفضية والوقائع في حينها، ولفتا لأنظار المسلمين لتصحيح أخطائهم وإرشادهم للصواب، وكشفا لحال أعداء الله المنافقين، وهتك أسرارهم للنبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين كي يأخذوا حذرهم منهم .
- الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده، والدليل على ذلك أنك تقرؤه من أوله إلى آخره فتجده محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آياته وسوره آخذ بعضها برقاب بعض، يجري دم الإعجاز فيه كله رغم نزوله مفرقا، ولا تستطيع أن تجد هذه الميزة في غير كلام الله القائل: " كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "، ثم يصدع القرآن في وجهك بهذا التحدي الشامل للإنسان والزمان والمكان: "قُلْ لَئِنِ

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا".

المحور الثالث:

الوحي

معاني الوحي – كيفية نزول الوحي على الرسل وصوره
– كيفية وحي الملك للرسل وحالات ذلك.

مبحث الوحي:

1. معنى الوحي:

الوحي: مصدر يدل على معنيين: الخفاء والسرعة، ولذا فمعناه: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره.

وقد يطلق ويقصد به اسم المفعول أي " الموحى به"، فهو بمعناه اللغوي

يتناول :

- الإلهام الفطري للإنسان كالوحي إلى أم موسى: " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ " .
- الإلهام الغريزي للحيوان: " وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا .
- الإشارة السريعة المرموزة مثل: " فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا" .
- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر للإنسان كقوله تعالى: " وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ" .
- أمر الله لملائكته: " إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ" .

أما وحي الله للأنبياء: فهو شرعا بمعنى اسم المفعول: كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه.

وبمعنى المصدر: إعلام الله من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية الخلق بطريقة خفية سريعة.

2. كيفية نزول الوحي على الرسل:

يوحي الله إلى الرسل بواسطة، وبغير واسطة.

فأما الأولى: فبواسطة جبريل عليه السلام.

وأما الثانية: فلها صور:

أ- الصورة الأولى:

عن طريق الرؤيا الصالحة في المنام، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري ومسلم: " أول ما بدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في المنام، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" وهذا كان تهيئة لرسول الله عليه الصلاة والسلام حتى ينزل عليه الوحي يقظة، وأما القرآن فلم ينزل شيء منه في المنام لكن كان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي يقظة تعتريه إغفاءة يسيرة أحيانا.

ب- الصورة الثانية:

الكلام الإلهي من وراء حجاب بدون واسطة يقظة كما وقع لموسى عليه السلام. وهاتان الصورتان ذكرهما الله في قوله: " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء"

3. كيفية وحي الملك إلى الرسول:

أ- وحي الملك إلى الرسول يأتي على حالتين:

الحالة الاولى:

وهي أشد على الرسول بحيث ينخلع من صفته البشرية إلى صفة الملكية الروحانية، فيسمع مثل صلصلة الجرس أو مثل أزيز النحل، ويتصبب جبينه عرقاً، وقد تبرك به راحلته إذا كان عليها، ويثقل جسمه، وكل ذلك ليهيئ نفسه، ويستجمع قوته لتلقي القرآن إذ هو قول ثقيل، كما قال تعالى: "إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً".

الحالة الثانية:

أن يتمثل له الملك رجلاً، فيأتيه في صورة بشر، وهذه الحالة أخف عليه، لأن الملك هو الذي ينسلخ من صفته الملكية الروحانية إلى البشرية الجسمانية، ليقع التناسب بين المتكلم والسامع، فيستأنس الرسول عليه الصلاة والسلام به.

وقد ذكرت هاتان الحالتان فيما رواه البخاري من حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ. فيفصم عني، وقد وعيت ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: «ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً».